جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم اللغة العربية
دكتوراه اللغة العربية- لغة

# قراءات في كتاب سيبويه

# "التعريف بسيبويه وكتابه"

أ. د. نافع علوان بهلول الجبوري

## المحاضرة الأولى

## التعريف بسيبويه وكتابه

٢٠٢٤ م ١٤٤٦ هـ

## المحاضرة الأولى : التعريف بـ سيبويه وكتابه

### أولًا : التعريف بسيبويه :

- **اسمه :** هو عمرو بن عثمان بن قنبر بن جَلْد بن مالك بن أدد، وهو فارسي الأصل ، أما كنيته فاختلف فيها: فهو أبو بشر، وهو أبو الحسين، وهو أبو عثمان. وأثبت هذه الكُنى هو أبو بشر
- **لقبه :** ( سيبويه ) ، وقد ألقى العلماء الأقدمون ضوءاً على هذا اللقب الفارسي ، فذكروا أنه مركب من (سيب) بمعنى التفاح ، و(ويه) بمعنى الرائحة ، وقال بعض العلماء الأقدمين ، وهو عبدالله بن طاهر العسكري يزعم أن الاسم من (سي) الفارسية ومعناه ثلاثون ، و(بويه) أي الرائحة ومعناها الثلاثون رائحة أي ذو الثلاثين رائحة .

وُلد سيبويه بالبيضاء، ويقال: إن مولده ومسقط رأسه كان بالأهواز ثم هاجر أهله إلى البصرة فنشأ بها، وكانت الهجرة إلى الحواضر الإسلامية متواصلة في ذلك الزمان وكان أقرب المهاجر إلى أهل فارس هي مدن العراق الثلاث: البصرة والكوفة وبغداد وكان اختيار أسرته للبصرة يحلون بها ويحيا في أرجائها يطلب العلم فيبني لنفسه مجدا خالدا.

وطفق سيبويه يطلب العلم بها، فكان الحديث والفقه من أول ما يدرس العلماء، فأعجبه ذلك وصحب الفقهاء وأهل الحديث، وكان يستملي الحديث على حماد بن سلمة وكان شديد الأخذ فبينما هو يستملي قول النبي محمد (ص): « ليس من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه ( ليس أبو الدرداء ) وظنه اسم ليس، فقال حماد لحنت يا سيبويه، إنما (ليس) ها هنا استثناء! فقال لا جرم، سأطلب علما لا تلحنني فيه فلزم الخليل فبرع.

ورواية أخرى يرويها حماد بن سلمة، أنه جاء إليه سيبويه مع قوم يكتبون شيئا من الحديث، قال حماد فكان فيما أمليت ذُكر ( الصفا ) فقلت: « صعد النبي محمد ( ص ) » الصفا، وكان هو الذي يستملِ، فقال: « صعد النبي محمد ( ص ) الصفاء » فقلت : يا فارسي لا تقل الصفاء، لأن الصفا مقصور، فلما فرغ من مجلسه كسر القلم وقال: ( لا أكتب شيئا حتى أحكم العربية ) ولعل هذين الحادثتين المثيرتين هي التي حدثت بسيبويه إلى العناية الشديدة بتعلم النحو.

- **شيوخه**

١. حماد بن سلمة بن دينار البصري
٢. الأخفش الأكبر .
٣. عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي ( ١١٧ هـ ).
٤. عيسى بن عمر الثقفي ( ١٤٩ هـ ) .
٥. يونس بن حبيب الضبي ( ١٨٢ هـ ) .
٦. الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ( ١٧٥ هـ ) .
٧. أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ( ٢١٥ هـ )

- **تلاميذ سيبويه :** لا يكاد يعرف التاريخ منهم إ لا ثلاثة:

١. قطرب : أبو محمد بن المستنير البصري. ( ٢٠٦ هـ )

٢. أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة . ( ٢١٥ هـ )

٣. الناشئ

**ثانيًا : كتاب سيبويه:**

عرف كتاب سيبويه من قديم الدهر إلى يومنا هذا باسم ( الكتاب) ، أو كتاب سيبويه ، ومن المقطوع به تاريخيا أن سيبويه لم يسمِه باسم معين على حين كان العلماء في دهره ومن قبل دهره يضعون لكتبهم أسماء : كالجامع ، والإكمال لعيسى بن عمر، والعين للخليل . وقد يكون أعجل عن تسميته بأنه احتضر شابا فلم يتمكن من معاودة النظر فيه واستتمامه فليست للكتاب مقدمة وليست له خاتمة مع جلالة قدره وإحكام بنائه قال السيرافي: وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علما عند النحويين، فكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب ، فيعُلم أنه كتاب سيبويه، وقُرئ نصف الكتاب ، ولاشك أنه كتاب سيبويه ، وقـد سماه الناس قديما ( قرآن النحو )

**ثالثًا : موقف الأقدمين من الكتاب :**

- **قال الجاحظ :** أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئًا أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له: أردت أن أهدي لك شيئًا ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أرَ أشرف من هذا الكتاب وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء. قال: والله ما أهديت اليَّ شيئًا أحب اليَّ منه .
- **ذكر الصاعد بن أحمد الجياني من أهل الأندلس في كتابه قال:** لا أعرف كتابًا أُلف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي
- **قال السيرافي:** كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علمًا عند النحويين فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه وقرأ نصف الكتاب ولا شك ولا يشك أنه كتاب سيبويه .
- **كان محمد بن المبرد:** إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر؟ تعظيمًا له واستصعابًا لما فيه .
- **كان المازني يقول:** من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ .
- وقال الزمخشري في هذا الكتاب:

ألا صَلَّى الإلهُ صلاةَ صَدْقٍ على عَمْرو بن عُثْمان بن قنبر

فـإنَّ كِتـابَه لـم يُـغْنِ عنه بـنـــو قَـلَـمٍ ولا أبـنـاءُ مِـنْـبَر

### رابعًا : متى ألَّف سيبويه كتابه ؟

تأريخ تأليف هذا الكتاب مجهول، ولم تذكر كتب التأريخ أن الكتاب قد ظهر في حياة مؤلفه فالسيرافي والمؤرخون من بعده قد ذكروا أن الكتاب لم يظهر في حياة سيبويه، ولكنه ظهر بعد وفاته، والذي نقله عنه ورواه للجمهور تلميذه الأخفش، ولكنّ لما مات سيبويه قُرى الكتاب على أبي الحسن الأخفش وكان ممن قرأه عليه أبو عمرو الجرمي، وأبو عثمان المازني. فالأخفش هو الراوي الوحيد لكتاب سيبويه، وكثير من الناس كان يعلم بتأليف سيبويه للكتاب، وأن بعض أجزاء الكتاب كان معروفًا للجمهور، فالذي كان مجهولاً هو الكتاب كاملاً أما بعضه فكان معروفاً عند الجمهور . ولا ريب أن سيبويه ألف الكتاب بعد موت الخليل فإن مخطوطات الكتاب نجد فيها كثرة التعقيب على قول الخليل بعبارة (رحمه الله) .

### خامسًا : متى ظهر الكتاب للجمهور؟

ظهر الكتاب للجمهور بعد موت سيبويه بقليل فإن يونس بن حبيب قد راجع الكتاب وأقر بصدق ما رواه سيبويه عنه، ويونس قد مات بعد سيبويه بعامين كما أن الكسائي الذي تُوفّي (١٨٣هـ) قرأ الكتاب على الأخفش سِرًا كما روى الأخفش.

### سادسًا : خطَّة المؤلف

لكتاب سيبويه وحدةٌ وغرض معين؛ لأن موضوعه جمع القواعد النحوية والصرفية، وهنا يَحسُن أن نشير إلى أن كتاب سيبويه لا يقتصر على ذكر قواعد النحو فحسب، بل شمل قواعد الصرف أيضًا، ففيه أبواب لأوزان الكلمة وأنواع الاشتقاق المختلفة، والتثنية، والجمع، والإعلال، والإبدال، والتصغير، والنسب، وغير ذلك من أبواب التصريف.

والكتاب مقسَّم إلى أبواب تبلغ زهاء ستمائة، كل باب منها يعالج ناحية من نواحي القواعد، وليس في الكتاب مقدمةٌ ، بل أوَّلُه في صميم الموضوع؛ إذ يتحدث عن أقسام الكلمة، فيقول: «هذا باب علم ما الكلم من العربية». والكتاب جزءان: **يحتوي الجزء الأول منهما** على الكلم وأقسامه، والفاعل، والمفعول، وما يعمل عمل الفعل، وإعمال المصدر، واسم الفاعل، والصفة المُشبَّهة، والحال، والظرف، والجر، والتوابع، والمعرفة والنكرة، والمبتدأ والخبر، والأسماء التي بمنزلة الفعل، والأحرف المشبهة به، والنداء، والترخيم، والنفي بلا، والاستثناء، وباب لكل من أحرف الجر. وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف، والنسب، والتصغير، والمقصور والممدود، والجمع، والوقف، والإعلال، والإبدال، ووزن الكلمات، ولكن ترتيب الكتاب يُخالف النهج الذي نتبعه ويتبعه المؤلفون المتأخِّرون فيما يأتي:

**أسلوب سيبويه في عرض كتابه :**

**أوَّلًا :** ترتيب أبواب الكتاب يخالف ما عهدناه من الترتيب ، فلا يأتي بالمرفوعات كلها على حدة ثُمَّ المنصوبات والمجرورات مثلًا، بل بعضها ممزوج ببعض، وأنا أسرد أبواب الكتاب، فينتقل من الفاعل إلى المفعول، ثُمَّ بعد أبواب كثيرة يذكر المبتدأ والخبر، وهكذا.

**ثانيًا :** لا يسير في ترتيب أبوابه وفصوله على الطريقة المنطقية الدقيقة، فيقدِّم أبوابًا من حقِّها أن تتأخَّر، ويؤخِّر أبوابًا من حقِّها أن تتقدَّم، ويضع فصولًا في غير موضعها الطبيعي، فهو يتحدَّث عن المسند إليه والمسند، وكان من اللائق أن يستوفي أبواب المسند إليه، من مبتدأ وفاعل وغيرهما، ثُمَّ يعود إلى المسند ليستوفي أنواعه وأحكامه، ولكنه لم يتبع ذلك،

**ثالثًا :** يذكر سيبويه الباب العام، ثُمَّ يعقد لكل مسألة من مسائله تقريبًا بابًا خاصًّا يُعالجها، فهو يُعَنوِن مثلًا للتصغير، ويذكر صيغه المختلفة، ثُمَّ يعقد أبوابًا للمسائل الجزئية فيه، فتجد بابًا لتصغير ما يكون على خمسة أحرف، وآخر لتصغير المضاعف، وبابًا لتصغير ما كان على ثلاثة أحرف ولحقته الزيادة للتأنيث، وأبوابًا أخرى لفروع التصغير المختلفة.

**رابعًا :** يذكر مسائل في أبواب نضعها نحن تحت عنوانات أخرى، فمثلًا هو يعدُّ في أبواب الفاعل بابًا للفاعل الذي لم يتعدَّه فعله إلى مفعول، وبابًا آخر للفاعل الذي يتعدَّاه فعله إلى مفعول، وبابًا ثالثًا للفعل الذي يتعدَّاه فعله إلى مفعولين، بينما الآن يوضع ذلك تحت عنوان الفعل المتعدي واللازم.

**خامسًا :** لا يذكر دائمًا مسائل الباب الواحد سلسلة متصلة متتابعة، بل يذكر بعضها في موضع وبعضها الآخر في موضع ثانٍ، بعد أن يفصل بينهما في كثير من الأحيان بأبواب أخرى، وتذكر هذه المسائل لمناسبات تستدعيها.

**سادسًا :** إنَّ الاصطلاحات النحوية لم تكن قد استقرَّت بعدُ؛ ومن أجل ذلك نجدُه يضع عناوين طويلة لأبواب، وغالبًا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة لنا، فترى نفسك مضطرًّا إلى العودة إلى صلب الكتاب لتفهم المقصود منها، وقلَّما تجد عنوانًا مفهومًا لك في هذا الكتاب، ويضع عنوانًا للمفعول لأجله قوله: «هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر».

ويدلُّنا على أن الاصطلاحات النحوية لم تكن قد استقرَّت أنه لم يضع لأسماء الإشارة أسماء، بل دعاها: الأسماء المُبهَمة، كما كان يدعو التسكين: جزمًا، فيقول: وجزمت لدنه، وَيُسَمِّي المقصور: منقوصًا، وغير ذلك كثير.

**سابعًا :** يذكر القاعدة وأمثلتها، ويمزج ذلك بالتعليلات المنطقية، وبيان وجه القياس فيما يذكره من القواعد، وعرض الآراء المختلفة في الموضوع الواحد.

**ثامنًا :** يفرض فروضًا يضع لها أحكامًا، فيقول مثلًا (ص٢/٣): «ولو جاء في الكلام شيء نحو أكلل وأيقق فسمَّيت به رجلًا صَرَفته؛ لأنه لو كان أفعل لم يكن الحرف الأول إلا ساكنًا مدغمًا.»

**تاسعًا :** لم تكن الأبواب قد تميَّز بعضها من بعض التميُّزَ الكافي، ويدلُّنا على ذلك باب التمييز وباب التعجب، ممَّا لم تتحدَّد معالمه التَّحدُّدَ الواضح في كتاب سيبويه.

**سابعا : أسلوب الكتاب**

كتاب سيبويه كتاب موضوع للعلماء، وهو من أجل ذلك موجز، كلُّ كلمة فيه موضوعة لمعنى، فهو يشبه مع ضخامته متنًا من المتون؛ ومن أجل ذلك وضع عليه العلماء كثيرًا من الشروح، وقد يُستغرب أن أقول: إنه مع الإيجاز يلتزم جانب التفصيل والتوضيح لما يتناوله حتى يستوفيه، ولكن لا محلَّ للغرابة إذا ذكرنا أنه مع التفصيل يلتزم جانب الإيجاز أيضًا، والذي ساعده على التفصيل تجزئة الموضوع إلى أبواب كثيرة يستوفي في كل باب منها مسألة، يذكر قاعدتها وأمثلتها ويفرِّعها ويفرض فروضًا يضع لها أحكامًا، ويذكر فيها الآراء المختلفة.

وهذا الإيجاز الذي تحدثت عنه يسبِّب في أحيان كثيرة غموضًا وإبهامًا والتواءً، مما يحتاج إلى إعمال الرويَّة والتأنِّي في فهم غرض المؤلف، ولا يعني ذلك أن الكتاب غامض غير مفهوم، بل أن الغموض واقع في بعض الفصول، ولكنه في الأغلب واضح، ولا يُقرأ الكتاب إلا في حال التريث ، وأسلوب الكتاب يرمي إلى التفهيم لا التأثير، ومع ذلك لا يمكن إخفاءضعف الإبانة في كثير من صفحات الكتاب.

**ثامنا : مصادر الكتاب**

فمن المستبعد أن يظهر كتاب شامل في النحو والصرف ككتاب سيبويه من غير أن يكون قد سبقته محاولات اقتبس منها، وسار على هُداها، وهم يقولون لذلك: إن سيبويه قد اقتبس ممَّن سبقه، ولا سيَّما عيسى بن عمر الثقفي، الذي ألَّف كتابين في هذه المادة، سمَّاهما: الإكمال والجامع، ويروون أن الخليل قال فيهما:

ذهب النحو جميعًا كله غير ما أَحدَث عيسى بن عمر
ذاك إكمالٌ، وهذا جامعٌ فَهُما للناس شمسٌ وقمر

غير أن هذين الكتابين لم يَبقيا، وعَفى على آثارهما كتاب سيبويه، ويظهر أن من الحق أن يعد كتاب سيبويه ثمرةً لكلِّ الجهود التي قام العلماء والمؤلفون بها، منذ بدأ أبو الأسود هذا النحو، فجمع سيبويه ما تفرَّق في كتبهم، وما استشهدوا به من شعر، ورتَّبه ونظَّمه، وأضاف إليه ما سمعه بنفسه.

وهكذا يجب أن نفهم ما قاله ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانًا، منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل؛ فليس معناه أن واحدًا وأربعين إنسانًا اشتركوا مع سيبويه في تأليف كتابه، ولكن معناه أن سيبويه قد انتفع بعلم من سبقه .

## تاسعا : شخصية المؤلف

استفاد سيبويه ولا ريب من الكتب المؤلفة قبله، وأخذ عن أساتذته ، فهل أفنى كلُّ ذلك شخصيَّةَ المؤلف، فأصبح جمَّاعًا ليس غير؟ إن كتاب سيبويه لتُطِل منه شخصيته واضحة قوية فيما يأتي:

**أوَّلًا :** أسلوبه، فالمعلومات قد يتلقاها المرء من هنا ومن هنا، ولكن وضع هذه المعلومات في أسلوب خاص وطريقة خاصة من طرق التعبير هو ما يميز شخصًا من آخر، فشخصية سيبويه واضحة كل الوضوح في أسلوبه الذي صاغ به معلوماته التي أخذها من جميع المصادر المعروفة في ذلك الحين.

**ثانيًا :** تبويب الكتاب وتقسيمه وترتيبه، وذلك من صنع سيبويه، ولا نستطيع أن نعرف إلى أي مدى استفاد من تبويب الكتب السابقة؛ لأنها لم تصل إلينا.

**ثالثًا :** الاستنباط وحسن التعليل والبرهنة والتفريع، وحظ سيبويه من ذلك حظ غير يسير، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من استنباط يسوقه، أو تعليل يأتي به، أو برهان يقدمه، أو تفريع يذكر أحكامه المختلفة، مما يدل على عبقرية ممتازة وشخصية قوية لا تكتفي بالنقل والتقليد.

## عاشرًا : شواهد الكتاب

للكتاب مصدران من الشواهد، هما: القرآن الكريم، وكلام العرب وأشعارهم وأمثالهم وحِكَمهم، وفي العصر القديم احتاج العلماء إلى شعر العرب يستنبطون منه قواعدهم، ويثبتون به آراءهم، وكانوا يستشهدون على ذلك بأشعار الطبقتين من الجاهليين والمخضرمين، ثُمَّ اختلفوا في الإسلاميين كجرير والفرزدق، والأكثر على جواز الاستشهاد بأشعارهم، وكان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق والحسن البصري يُلحِّنون الفرزدق والكميت وذا الرمة ومن على شاكلتهم، ويعدُّونهم من المُولَّدين الذين لا يجوز الاستشهاد بكلامهم،

وقد بذل سيبويه جهده في تخيُّر شواهد كتابه، وأخذ هذه الشواهد عن الجاهلية، والمخضرمين، وشعراء الأمويين، وأخذ عمَّن قال الثقات إن شعرَهم آخرُ شعر يُحتجُّ به، أمَّا موقفه من بشار فلم يستشهد بشعره في كتابه، ورُوِيَ أن سيبويه طعن على بشار في قوله : فالآنَ أَقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطِلِي وأشار بالوَجْلَى عليَّ مُشِيرُ

وقال: لم يُسمَع من الوجل، فبلغ ذلك بشَّارًا، فغضب وهجاه — وكلُّنا يعلم مرارة لسان بشار — بقوله:

أَسِبْوَيْهِ يا ابنَ الفارسيَّة ما الذي تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنبِذُ؟!
أَظَلْتَ تغنِّي سادِرًا في مَسَاءتِي وأُمُّكَ بالمِصْرَينِ تُعْطِي وتَأْخُذُ!

وأيُّ هجاء أبلغ من حذف المفعول في الفعلين: تعطي وتأخذ، فيُقال إن سيبويه توقَّاه بعد ذلك، وكان إذا سُئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهدًا من شعر بشار احتجَّ به استكفافًا لشرِّه، ولعل بشَّارًا أراد أن يحتجَّ سيبويه بشعره، فغيَّر نينان البحور وجعلها تيَّار البحور.